المقرر الرابع: الحديث الرابع
ذكر الله

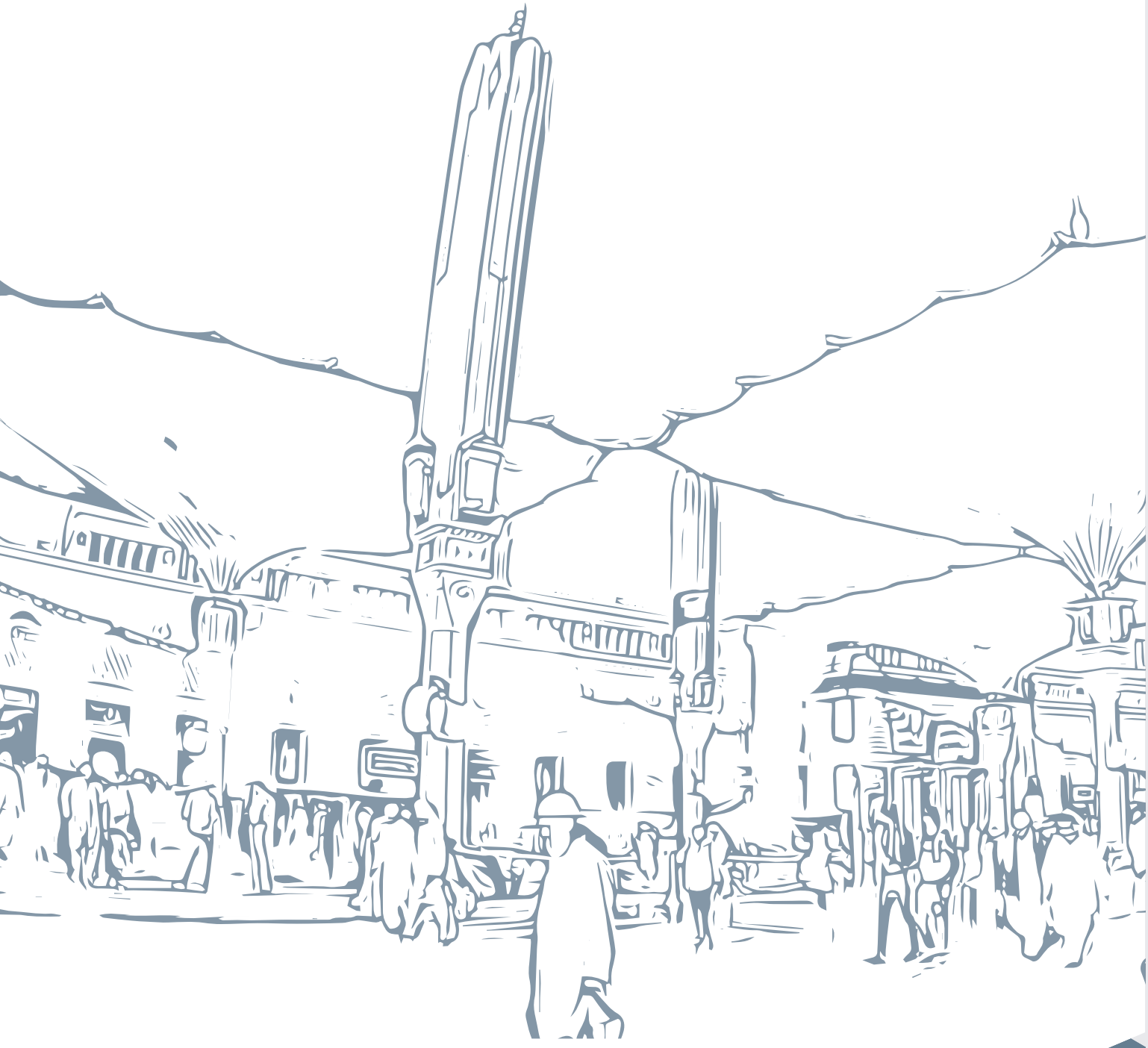

ذكر الله

٤. عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعريِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ». وَلِلْبُخَارِيِّ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ[1]»

(١) رواه البخاريُّ (٦٤٠٧) كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ فَضْلِ ذِكْرِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ، ومسلم (٧٧٩) كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ فِي بَيْتِهِ، وَجَوَازِهَا فِي الْمَسْجِدِ.

أولًا: مقدمات دراسة الحديث

١. التمهيد:

الله عزوجل هو الرب الرحيم الودود، أحب عباده المؤمنين، وجعل لهم من لدنه ودًّا، ومن الود والحب ما تفضل به عليهم من جزاء الأعمال؛ فهو سبحانه الشكور أي الذي يجازي على القليل بالكثير، وقد رصد للأعمال الصالحة أجورًا عظيمة، وثوابًا كبيرًا، تحفيزًا لعباده المؤمنين؛ وحثًّا لهم على الإقبال على فعل الخيرات لعلهم يرحمون، وفي المقابل -لأنه سبحانه وتعالى يعلم أن عباده ضعفاء وأنهم لن ينفكوا عن الوقوع في المعصية بين حين وحين- جعل عقاب المعصية محدودًا مقارنة بأجور الحسنات؛ ليسهل على العبد المؤمن أن يتخذَّ قراره إن راودته نفسه ما بين طاعة ومعصية، فالعاقل ولا شك سيُغَلِّب الربح والفوز والعطاء الكبير، على الضياع والخسران، ومع ذلك فإن الله سبحانه تعالى لا تضره معصية، ولا تنفعه طاعة.

وقد وردت العديد من الأدلة الزاخرة بموعود الله تعالى، المبينة لعظيم عطائه وفضله لعباده المؤمنين، ومن هذه الأدلة الحديث الشريف الذي بين أيدينا، فاستعن بالله أخي طالب العلم لدراسة حديث اليوم؛ لتتعرف عظيم فضل الله الذي وعد به عباده المؤمنين. -سددك الله وأعانكم.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا - بعد عون الله تعالى - على أن:

١. تُترجم لراوي الحديث.
٢. تُوضح لغويات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تُبين ما يُرشد إليه الحديث.
٥. تُوضح أحوال العباد في فعل الطاعات والمعاصي.
٦. تُبين الجزاء المترتب على فعل الحسنة أو السيئة.
٧. تُبين الجزاء المترتب على الهم بالحسنة أو السيئة.
٨. تستشعر عظيم فضل الله تعالى على عباده.
٩. تحرص على فعل ما يرضي الله تعالى من عمل الطاعات وال بُعد عن المنهيات.

٣. موضوعات الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه - بعون الله تعالى - عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبيَّن في الشكل التالي:

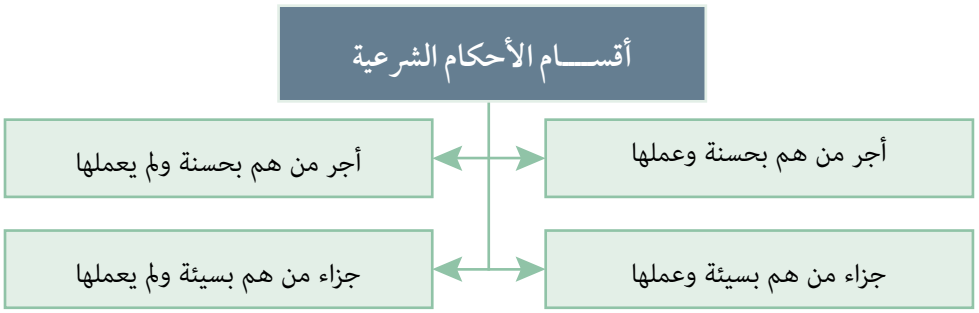

ثانيًا: رحلة تعلم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلم درس اليوم:

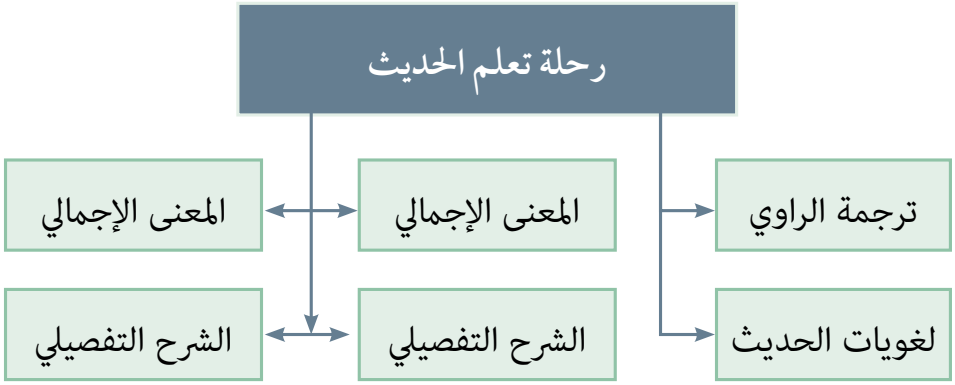

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: عبدُ الله بنُ عبَّاسِ بنِ عبد المطَّلِب، القُرَشيُّ، الهاشميُّ، المَدَنيُّ، أبو العبَّاس، وُلد بشِعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاثِ سنين، وهو ﷺ حَبر الأمَّة وتُرجمانُ القرآن، ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ، وكان يُقال له: البَحر؛ لكثرة عِلمِه؛ فقد دعا له النبيُّ ﷺ بقوله: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[٤٩]، وهو من الصحابة المُكْثِرين من رواية الحديث، روى (١٦٩٦) حديثًا، أسلم صغيرًا، ولازَم النبيَّ ﷺ بعد الفتح وروى عنه، وكُفَّ بصرُه في آخِرِ عُمُره، وتُوفِّيَ بالطائف سنةَ (٦٨هـ)[٥٠].

---

(٤٩) رواه البخاريُّ (١٤٣) واللفظ له، ومسلم (٢٤٧٧).

(٥٠) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣/ ١٦٩٩)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البرِّ (٣/ ٩٣٣)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٢٩١).

نشـــــاط (١) ابحث واقرأ ثم اكتب

كان لابن عباس رضي الله عنه مكانة مميزة لدى النبي صلى الله عليه، وهو ما يزال غلامًا يافعًا، وقد لازم النبي صلى الله عليه وسلم وتأثر به، وقد اشتهر من تأديب النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس حديث «يا غلام إني أعلمك كلمات»، والمطلوب منك:

١. **اكتب نصَّ الحديث كاملًا من مصدره:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنه ركب خلف النبي صلى الله عليه وسلم يومًا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ

.....

.....

٢. أهم وصايا النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث لابن عباس رضي الله عنهما:

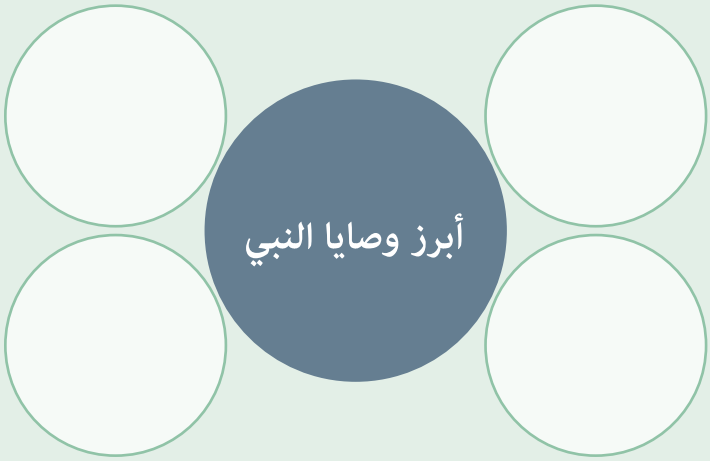

٣. وضح كيف تستفيد في حياتك الشخصية من هذه الوصية الجامعة:

.....

.....

.....

.....

١. لغويات الحديث:

عبارة الحديث	اللغويات
هَمَّ	أَرَادَ وقَصَد، والهمُّ بالشيء: القَصْدُ إليه بالقَلْبِ، والعَزْمُ على فعله.
كَتَبها الله	أَمَر الحفَظَةَ بكتابتها.

٢. المعنى الإجماليُّ للحديث:

روى ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»؛ أي: قدَّر الحَسناتِ والسيِّئات. «ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ»؛ أي: ثم وضَّح أمر الكتابة، وكَشَفَ اللَّبْسَ عنها، وفصَّل حُكْمها، فلا حاجة إلى الاستفسار في كلِّ وقت عن كيفية الكتابة؛ لكو

نه أمرًا مفروغًا منه. «فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً»؛ أي: فمنقَصَد حسنةً، وحدَّث نَفسَه بها، وعَقَد العَزْمَ عليها؛ ولكنه لم يعملها لعائقٍ حالَ بينه وبين فعلها، كَتَبها الله له حسنةً كاملة. «وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ»؛ أي: إن قَصَدها وعَمِلها، فإن الله يَكْتُبها عشْرَ حسناتٍ، إلى سبعمائة ضِعف، إلى أضعاف كثيرة. «وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً»؛ أي: وإن قَصَد إلى فعل سيِّئة فتركها لله، كتبَها الله عنده حسنةً كاملة. «وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»؛ أي: وإن عَمِلها، كَتَبها الله سيِّئةً واحدة.

٣. الشرح المفصَّل للحديث:

إن أفعالَ الله تعالى تَدُور بين الفضل والعَدْل، فما كتبه الله تعالى وقدَّره في هذه الحياة الدنيا، وكلُّ ما في الدنيا والآخرة، هو دائرٌ بين فضل الله وعَدْلِه؛ فرحمةُ الله تعالى فضلٌ، وتعذيبُه للعاصين عَدْلٌ، وقد أخبر سبحانه أن رحمتَه سَبَقت غضبه، وأن رحمته وَسِعَتْ كلَّ شيء، وأَمَرَنا أن نسأله من فضله وعطائه الجزيل.

وقد خَلَق الله تعالى الخَلْقَ لغايات عظيمة، وحِكَم جليلة، من أجلِّها عبادةُ الله عزَّ وجلَّ وتوحيده؛ قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، والإنسانُ مأمورٌ بمعرفة الله، وتوحيده، وعبادته، وأَوْدَع اللهُ في كلِّ إنسان خَلَقَه القُدرةَ على فعل الخير والشرِّ؛ قال تعالى: أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ [البلد: ١٠]؛ أي: دَلَلْناه على طريق الخير وطريق الشرِّ، وتَركْنا له

حرية الاختيار بينهما، وقال تعالى ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس: ٧-٨]؛ أي: بيَّن لها الخير والشرَّ، وهداها لما قُدِّر لها، ثم أرسل الرُّسل، وأنزل الكتب؛ حتى يستقيم الإنسان على عبادته، فيَحُوز خيرَي الدنيا والآخرة.

وفي هذا الحديث القدسيِّ الشريف يروي رَسُولُ الله ﷺ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

فقد بَيَّن الحديثُ مقدارَ تفضُّل الله على عباده، بأن جَعَلَ همَّ العبدِ بالحسنة، وإن لم يَعمَلها، حسنةً، وجعل همَّه بالسيِّئةِ، إن لم يَعمَلها، حسنةً، وإن عَمِلها كُتِبت سيِّئةً واحدة، وإن عَمِل الحسنةَ كُتِبت عَشْرًا، وربما تضاعفت إلى أكثرَ من سبعمائة ضعف.

ولولا هذا التفضُّلُ العظيم من الله تعالى على عباده المؤمنين، لم يَدخُل أحدٌ الجنَّة؛ لأن السيِّئاتِ من العباد أكثرُ من الحسنات، والإنسان بطبعه كثيرُ الذنوب والمعاصي؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»(٥١)، ومهما عظُمت الذنوب، فرحمةُ الله أعظم؛ طالما أن المرءَ موحِّد لربِّه، لا يُشرك به شيئًا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ۝٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

بل إن الكافرَ إذا أَسلَم، فإنه يُمحى عنه كلُّ سيِّئة؛ قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ۝٣٨﴾[الأنفال: ٣٨]، وعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ النبيَّ ﷺقال: «إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ القِصَاصُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهَا»(٥٢).

فكان من لُطْفُ الله بعباده أن ضاعَفَ لهم الحسناتِ، ولم يُضاعِف عليهم السيِّئاتِ، وكان من رحمة الله تعالى أن فَتَح لهم أبواب مغفرته، مهما عظُمت ذنوبُهم.

وإنما جَعَل الله تعالى الهمَّ بالحسنةِ حَسَنةً؛ لأن الهمَّ بالخَير هو فعلُ القلب بعقد النيَّة على ذلك. فإن قيل: فكان ينبغي على هذا القول أن يَكتُب لمن همَّ بالشرِّ ولم يعمله سيئةً؛ لأن الهمَّ بالشرِّ عَمَلٌ من أعمال القلب للشرِّ. قيل: ليس كما توهَّمْتَ، ومن كفَّ عن فعل الشَّرِّ، فقد نَسَخ اعتقاده للسيِّئة باعتقادٍ آخَرَ نوى به الخير، وعصى هَواه المُريد للشَّرِّ، فذلك عَمَلٌ للقلب من أعمال الخير،

---

(٥١) رواه أحمد (١٣٠٤٩)، والترمذيُّ (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩).

(٥٢) رواه البخاريُّ (٤١).

فجُوزِيَ على ذلك بحسنة، وهذا كقوله ﷺ: «على كلِّ مُسلمٍ صَدَقةٌ». قالوا: فإن لم يَفعَل؟ قال: «يُمسِكُ عن الشرِّ؛ فإنه صَدَقةٌ»(٥٣)؛ فالكفُّ عن الشر والسيِّئات صدقة(٥٤).

فهذا الحديث خصَّص من هَمَّ بسيِّئة، فتَركها لوجه الله تعالى، وأما من تَركها مُكرَهًا على تركها بأن يُحالَ بينه وبينها، فلا تُكتَب له حسنة، ولا يَدخُل في معنى الحديث.

«وفي هذا الحديث تصحيحُ مقالة من يقول: إن الحَفَظَة تَكتُب ما يَهُمُّ به العبد من حسنة أو سيِّئة، وتَعلَم اعتقادَه لذلك، وردُّ مَقالة من زَعَم أن الحَفَظة، إنما تَكتُب ما ظَهَر من عمل العبد وسُمِع»(٥٥).

وفي معنى هذا الحديث أحاديثُ أُخَرُ متعدِّدة، فتضمَّنت هذه النّصوص كتابة الحسنات والسّيّئات، والهمَّ بالحسنة والسّيّئة، فهذه أربعة أنواع(٥٦):

النّوع الأوّل: عمل الحسنات، فتُضاعف الحسنة بعشْر أمثالها إلى سَبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومضاعفة الحسنة بعشر أمثالها لازم لكلِّ الحسنات، وقد دلَّ عليه قوله تعالى: مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ﴿١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠]. وأمّا زيادة المضاعفة على العشر لمن شاء اللهّ أن يضاعِف له، فدلَّ عليه قوله تعالى: مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١]، فدلّت هذه الآية على أنّ النّفقة في سبيل اللهّ تُضاعَف بسبعمائة ضعف.

النّوع الثّاني: عمل السّيّئات، فتُكتَب السّيّئة بمثلها، من غير مضاعفة؛ كما قال تعالى: مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقوله: «كُتبت له سيّئة واحدة» إشارة إلى أنّها غير مضاعفة؛ لكنّ السّيّئة تَعظُم أحيانًا بشرف الزّمان أو المكان؛ كما قال تعالى: إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ ﴿٣٦﴾ [التوبة: ٣٦]. قال عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عبّاس في هذه الآية: فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ ﴿٣٦﴾ [التوبة: ٣٦]: في كلّهنّ، ثمّ اختصَّ من ذلك أربعة أشهر، فجعلهنّ حُرمًا، وعظَّم حُرماتِهنّ، وجعل الذّنب فيهنّ أعظَم، والعمل الصّالح والأجر أعظم. وقال قتادة في هذه الآية: اعلموا أنّ الظُّلم في الأشهر الحُرم أعظم خطيئةً ووزرًا فيما سوى ذلك، وإن كان الظُّلم في كلِّ حال غير طائل؛ ولكنّ اللهّ تعالى يعظِّم من أمره ما يشاء تعالى ربُّنا.

---

(٥٣) رواه البخاريُّ (١٤٤٥)، ومسلم (١٠٠٨).

(٥٤) انظر: «شرح صحيح البخاريِّ» لابن بطال (١٠/ ١٩٩، ٢٠٠).

(٥٥) «شرح صحيح البخاريِّ» لابن بطال (١٠/ ٢٠٠).

(٥٦) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٣١٣)- ٣٢٢).

وقد تُضاعف السّيّئات بشرف فاعلها، وقوّة معرفته بالله، وقُربه منه؛ فإنّ من عصى السّلطان على بِساطه أعظم جُرمًا ممّن عصاه على بُعد؛ ولهذا توعَّد اللهّ خاصَّة عباده على المعصية بمضاعفة الجزاء، وإن كان قد عصمهم منها؛ ليبيِّن لهم فضله عليهم بعصمتهم من ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾[الإسراء: ٧٤، ٧٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ [الأحزاب: ٣٠)- ٣١].

النّوع الثّالث: الهمُّ بالحسنات، فتُكتب حسنةً كاملةً، وإن لم يعملها؛ كما في حديث ابن عبّاس وغيره، وفي حديث أبي هريرة الّذي خرَّجه مسلم كما تقدَّم: «إذا تحدَّث عبدي بأن يعمل حسنةً، فأنا أكتبها له حسنةً»، والظّاهر أنّ المراد بالتّحدُّث حديث النّفس، وهو الهمُّ، وفي حديث خُرَيم بْنِ فَاتِكٍ: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، فَعَلِمَ اللهُ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ أَشْعَرَ قَلْبَهُ، وَحَرَصَ عَلَيْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً»[٥٧] وهذا يدلُّ على أنّ المراد بالهمِّ هنا هو العزم المصمِّم الّذي يوجد معه الحرص على العمل، لا مجرَّد الخطرة الّتي تَخطُر، ثمّ تنفسخ من غير عزم ولا تصميم. قال أبو الدّرداء: من أتى فراشه وهو ينوي أن يصلِّيَ من اللّيل، فغلبته عيناه حتّى يُصبح، كُتب له ما نوى.

والهمُّ بالحسنة إنما هو فعل العبد بقلبه دون سائر الجوارح؛ كذكر الله بقلبه، فالمعنى الذي به يصل الملَكان الموكَّلان بالعبد إلى علم ما يَهمُّ به بقلبه، هو المعنى الذى به يصل إلى علم ذكر ربّه بقلبه، ويجوز أن يكون جعل الله لهما إلى علم ذلك سبيلًا؛ كما جعل لكثير من أنبيائه السبيل إلى كثير من علم الغيب، فغير مستنكَر أن يكون الكاتبان الموكَّلان بابن آدم، قد جعل لهما سبيلًا إلى علم ما في قلوب بنى آدم من خير أو شرٍّ، فيكتبانه إذا حدَّث به نفسه أو عزم عليه[٥٨].

النّوع الرّابع: الهمُّ بالسّيّئات من غير عمل لها؛ ففي حديث ابن عبّاس: أنّها تُكتب حسنةً كاملةً، وكذلك في حديث أبي هريرة وأنس وغيرهما: أنّها تُكتب حسنةً، وفي حديث أبي هريرة قال: «إنّما تركها من جرَّاي»[٥٩] يعني: من أجلي. وهذا يدلُّ على أنّ المراد من قَدَر على ما همَّ به من المعصية، فتركه للهّ تعالى، وهذا لا ريب في أنّه يُكتب له بذلك حسنة؛ لأنّ تركه المعصيةَ بهذا القصد عمل صالح. فأمّا إن همَّ بمعصية، ثمّ ترك عملها خوفًا من المخلوقين، أو مراءاةً لهم، فقد قيل: إنّه يعاقَب على تركها بهذه النّيّة؛ لأنّ تقديم خوف المخلوقين على خوف اللهّ محرَّم، وكذلك قصد الرّياء للمخلوقين محرَّم، فإذا اقترن به ترك المعصية لأجله، عوقب على هذا التّرك.

---

(٥٧) رواه أحمد (١٩٢٤٤)، وحسّنه شعيب الأرنؤوط.

(٥٨) «شرح صحيح البخاريّ» لابن بطال (١٠/ ١٩٩، ٢٠١).

(٥٩) رواه مسلم (١٢٩).

قال الفُضيل بن عياض: كانوا يقولون: ترك العمل للنّاس رياء، والعمل لهم شرك. وأمّا إن سعى في حصولها بما أمكنه، ثمّ حال بينه وبينها القدر، فقد ذكر جماعة أنّه يعاقَب عليها حينئذ؛ لقول النّبيِّ ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النّار»، قالوا: يا رسول اللهّ، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنّه كان حريصًا على قتل صاحبه»[٦٠].

وقد قال النبيُّ ﷺ: «إنّ اللهّ تجاوز لأمّتي عمّا حدَّثت به أنفسها، ما لم تكلَّم به، أو تعمل به»[٦١] وفيه دليلٌ على أنّ الهامَّ بالمعصية إذا تكلَّم بما همَّ به بلسانه، فإنّه يُعاقَب على الهمِّ حينئذ؛ لأنّه قد عَمِلَ بجوارحه معصيةً، وهو التّكلُّم باللّسان.

ختامًا لا بد من الانتباه إلى ألا يغتر أحد بكون جزاء السيئة سيئة واحدة، بل إن الصغيرة تنقلب كبيرة بعدة أسباب، منها: الإصرارُ، والمواظبة؛ ولذلك قيل: لا صغيرةَ مع إصرار، ولا كبيرةَ مع استغفار، فكبيرةٌ واحدة تَنصرِم ولا يَتبَعها مثلُها، لو تصوّر ذلك، كان العفوُ عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها، ومثال ذلك: قَطَرات من الماء تقع على الحَجَر على تَوَالٍ فتؤثِّر فيه، وذلك القدرُ من الماء لو صُبَّ عليه دَفْعةً واحدة لم يؤثِّر[٦٢]، قال الفُضَيل بن عياضٍ: «بقدرِ ما يصغُرُ الذنبُ عندك يعظُمُ عند الله، وبقدر ما يعظُمُ عندك يصغُرُ عند الله»[٦٣].

وقد روي عن عبد الله بن عباسٍ – رضي الله عنهما – أنه قال: «يا صاحبَ الذَّنْب، لا تأمَنَنَّ مِن سوء عاقبته، ولَمَا يَتبَع الذنبَ أعظمُ من الذنب إذا علمتَه؛ فإن قلَّة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال، وأنت على الذنب، أعظمُ مِن الذنب الذي عملتَه، وضَحِكُكَ وأنت لا تدري ما اللهُ صانع بك أعظمُ من الذنب، وفرحُكَ بالذنب إذا ظفِرْتَ به أعظمُ من الذنب، وحُزْنُكَ على الذنب إذا فاتك أعظمُ من الذنب إذا ظفِرْتَ به، وخوفُك من الريح إذا حرَّكَتْ سِتْرَ بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك مِن نظر الله إليك أعظمُ مِن الذنب إذا عملتَه»[٦٤].

---

(٦٠) رواه البخاريّ (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٦١) رواه أحمد (٩٠٩٧)، والترمذيّ (١١٨٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٦٢) «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزاليِّ (٤/ ٣٢).

(٦٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبيِّ (٨/ ٤٢٧).

(٦٤) «حلية الأولياء» لأبي نُعيم الأصبهانيِّ (١/ ٣٢٤).

نشـــــاط (٢) فكر واكتب

«قسم الحديث البشر عند الإتيان بأعمال المعاصي والطاعات إلى أربعة أقسام، وحدَّدَ لكل منها جزاء».

في ضوء فهمك لهذه العبارة، وما درست في الحديث أكمل الشكل التالي:

أنواع الناس الواردة في الحديث	الفعل	الجزاء	الدليل من غير الحديث
النوع الأول			
النوع الثاني			
النوع الثالث			
النوع الرابع			

نشـــــاط (٣) تأمل ثم اكتب

قد يفهم هذا الحديث على غير وجهه، وتسول به النفوس الضعيفة لأصحابها اقتراف المعاصي بحجة أنها تُجازى بمثلها فقط، ويغفل هؤلاء عن أن المعاصي يجر بعضها بعضًا، وربما استحكمت على صاحبها فكانت سبب هلاكه.

تأمل الفقرة السابقة، ثم وجِّه رسالة تنصح فيها أمثال هؤلاء المغترين برحمة الله بعباده.

.....

.....

.....

.....

.....

نشـــــاط (٤)

الله تعالى هو الشكور ومعناه أنه يجازي على القليل بالكثير، والحديث الذي معنا فيه دلالة واضحة على ذلك.

ونود منك أخي الطالب:

أن تذكر عددًا من الطاعات التي يترتب عليها قدر كبير من عظيم فضل الله تعالى، مع اتباع النموذج التالي:

الطاعة	الأجر
التهليل مائة مرة في يوم بقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير».	كانت له: - عدل عتق رقبة ١٠)رقاب. - كُتب له ١٠٠)حسنة. - مُحيت عنه ١٠٠)سيئة. - كانت له حرز من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي. - لم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك.

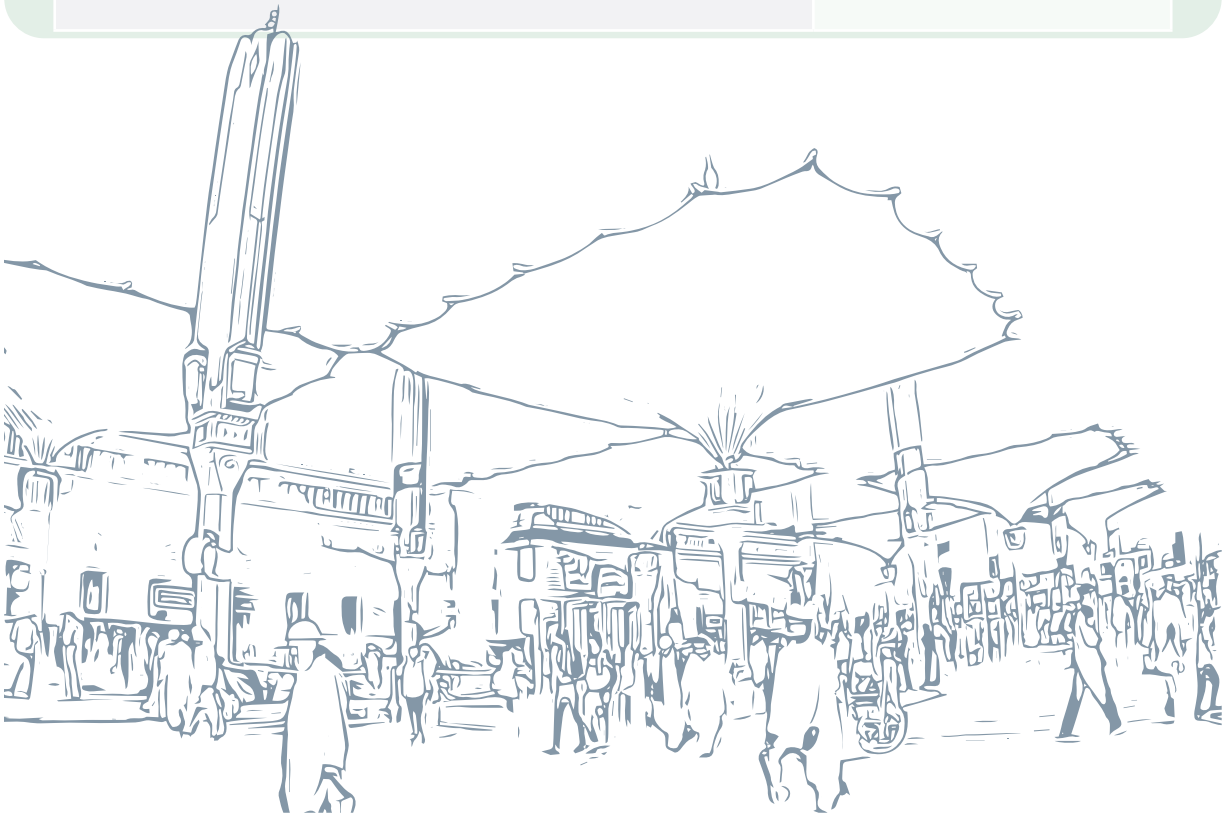

نشـــــاط (٥) فكر وتأمل ثم قيم

في ضوء فهمك للحديث وما تضمنه من أنواع لبني البشر من حيث الإتيان بالحسنة أو السيئة أو الهم بها، أصدر حكمًا على كل موقف مدون في الجدول للتالي:

م	الموقف	إصدار الحكم
	عزم محمد على أن يستيقظ في الثلث الأخير من الليل؛ ليقيم الليل ويدعو الله تعالى، ولكنه لم يستيقظ إلا مع صلاة الفجر.	
	نوى إسماعيل أن يكذب على مدرسه خشية العقاب، ولكنه تراجع عن نيته خوفًا من الله تعالى.	
	نوى إسحاق سرقة حقيبة زميله في الفصل، ولكنه تراجع عن نيته خشية أن يفتضح أمره.	
	عزم أبو بكر على التصدق بجزء من ماله على الفقراء وقد وفقه الله تعالى وتحققت عزيمته.	
	أخذ أحمد قرارًا بأنه سيغش في بضاعته زيادة في المكسب وقد تحقق ما أراد.	
	قرر زيد أن يشهد زورًا ضد جاره عمر؛ انتقامًا منه، وتحدث بين الناس بهذه الشهادة، وفي اللحظة الأخيرة تراجع عن قول الزور.	

٤. أحاديث للمدارسة:

ورد في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»(٦٥)

وهو حديث يؤكد المعنى الذي ورد في الحديث المشروح هنا؛ حيث أكد النبي صلى الله عليه وسلم على أن الله تعالى تجاوز بفضله ورحمته عن أمَّته بعدم مؤاخذته لعباده بما حدَّثوا به أنفسهم، ما لم تَنطِق به ألسنتهم، أو تَعمَله جوارحهم، ورَفَع الحساب والعقاب عن وساوس الصدر، وخواطر النفس من الشرِّ، ما لم يتعدَّ ذلك إلى الفعل، فهذه الخواطر مَعْفُوٌّ عنها.

(٦٥) رواه البخاريُّ (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).

٥. من توجيهات الحديث:

في الحديث بيانُ مقدارِ تفضُّل الله على عباده.

لولا هذا التفضُّلُ العظيم من الله تعالى على عباده المؤمنين المذكور في الحديث، لم يَدخُل أحدٌ الجنَّة؛ لأن السيِّئاتِ من العباد أكثرُ من الحسنات، والإنسان بطبعه كثيرُ الذنوب والمعاصي.

من كفَّ عن فعل الشَّرِّ، فقد نَسَخ اعتقاده للسيِّئة باعتقادٍ آخَرَ نوى به الخير، وعصى هَواه المُريد للشَّرِّ، فذلك عَمَلٌ للقلب من أعمال الخير، فجُوزِيَ على ذلك بحسنة.

الكفُّ عن الشر والسيئات صدقة.

من هَمَّ بسيِّئة، فتَرَكها لوجه الله تعالى، هو المقصود من الحديث، أما من تَرَكها مُكرَهًا على تركها بأن يُحالَ بينه وبينها، فلا تُكتَب له حسنة، ولا يَدخُل في معنى الحديث.

مُضَاعَفَةُ الحسنة بعَشْر أمثالها لازِمٌ لكُلِّ الحسنات.

في قوله: «كُتبت له سيِّئة واحدة» إشارة إلى أنّها غير مضاعفة؛ لكنّ السّيِّئة تَعظُم أحيانًا بشرف الزَّمان أو المكان.

قد تُضاعَف السّيِّئات بشرَف فاعلها، وقوَّة معرفته باللهّ، وقُربه منه.

المراد بالهمِّ هنا هو العزم المصمِّم الّذي يوجد معه الحرص على العمل، لا مجرَّد الخطرة الّتي تَخطُر، ثمّ تنفسخ من غير عزم ولا تصميم.

جَعَل الله تعالى الهمَّ بالحسنةِ حَسَنةً؛ لأن الهمَّ بالخَير هو فعلُ القلب بعقد النيَّة على ذلك؛ فالهمُّ بالحسنة إنما هو فِعْلُ العبد بقلبه دون سائر الجوارح؛ كذِكْرِ الله بقلبه.

في الحديث الهمُّ بالسّيّئات من غير عمل لها أنّها تُكتب حسنةً كاملةً.

من قَدَر على ما هَمَّ به من المعصية، فتركه للهّ تعالى يُكتَب له بذلك حسنة؛ لأنّ تركه المعصيةَ بهذا القصد عمل صالح.

إن همَّ المرء بمعصية، ثمّ ترك عملها خوفًا من المخلوقين، أو مُراءاةً لهم، فقد قيل: إنّه يعاقَب على تركها بهذه النّيّة.

إن سَعى المرء في حصول المعصية بما أَمكَنه، ثمّ حال بينه وبينها القَدَر، فقد ذكر جماعة من أهل العلم أنّه يُعاقَب عليها حينئذ.

الهامَّ بالمعصية إذا تكلَّم بما همَّ به بلسانه، فإنّه يُعاقَب على الهمِّ حينئذ؛ لأنّه قد عَمِل بجوارحه معصيةً، وهو التّكلُّم باللّسان.

من رقيق الشعر

وَإِنَّ عَلَيْنَـا حَافِـظِينَ مَلائِـكًا كِرَامًا بِسُـكَّانِ البَسِيطةِ وُكِّلُوا
فَيُحْصُونَ أَقْـوالَ ابْنِ آدَمَ كُلَّهَا وَأَفْعَالَـهُ طُـرًّا فَلا شَيءَ يُهْمَـلُ

***

خـلِّ الذنـوبَ صغيرَهـا وكبيرَهـا فهُـوَ التُّقـى
كـن مثـلَ مـاشٍ فـوق أرْ ضِ الشَّـوْكِ يَحْذَرُ ما يرى
لا تحقِـرَنَّ صـغيرةً إنَّ الجبـالَ مِـن الحصى

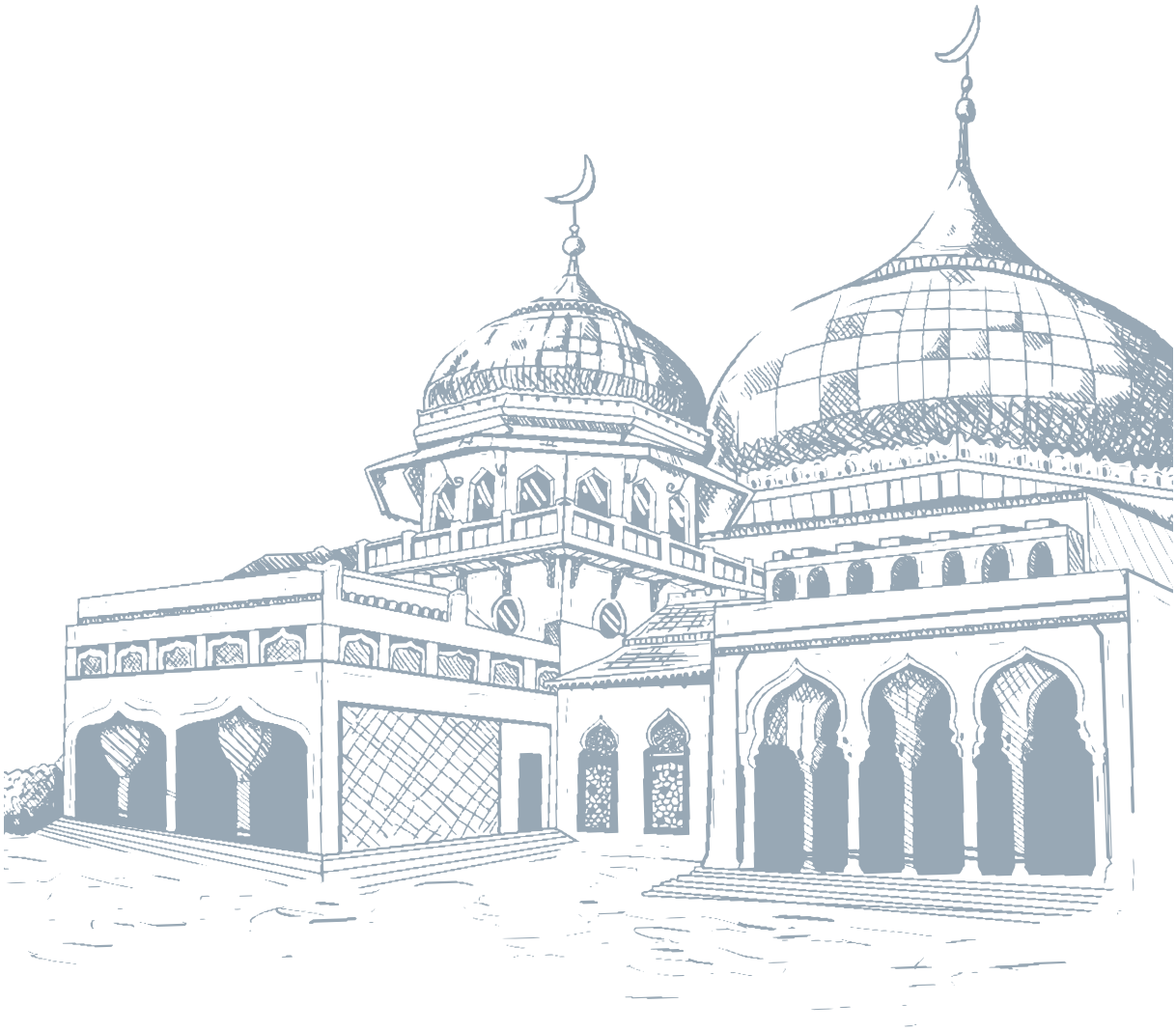

ثالثًا: التقويم

١. **أكمل الأحاديث النبوية فيما يلي:**

- «كُلُّ ابْنِ آدَمَ.....، وَخَيْرُ..... التَّوَّابُونَ».
- «إنّ اللهّ تجاوز لأمّتي عمّا... ... به.....، ما لم..... به، أو..... به».
- «إنّما تركها من.....».
- «مَنْ هَمَّ..... فَلَمْ يَعْمَلْهَا... ... اللهُّ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ... قَلْبَهُ، وَحَرَصَ.....، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً».

٢. **ضع خطًّا تحت الإجابة الصحيحة، فيما يلي، مع التعليل:**

أ. الهامَّ بالمعصية إذا تكلَّم بما همَّ به بلسانه، فإنّه يُعاقَب على الهمِّ. (صواب – خطأ)

ب. قد تُضاعف السيئة لمن قويت معرفته بالله تعالى. (صواب – خطأ)

ت. توفي عبد الله بن عباس في مكة سنة ٦٨هـ. (صواب– خطأ)

ث. قال أهل العلم في شرح معنى الحديث: إن من هم بمعصية ثم تركها لأي سبب كان فإن الله يجازيه على ذلك بحسنة. (صواب – خطأ)

٣. **اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:**

أ. (هم بمعصية ثم تركها خوفًا من الناس)يُعدُّ هذا:

- داخل في الحديث وله حسنة.
- خارج عن الحديث وقيل لا أجر له.
- خارج عن الحديث وقيل عليه وزر.

ب. يُقصد بالهم في الحديث:

- العزم.
- الفعل.
- القول.

ت. الهم بالحسنة من العبد يكون مقرونًا بالحرص على:

- التفكير.
- العمل.
- التخطيط.

ث. من هم بسيئة ثم تركها خوفًا من الله تعالى فإنها

- تكتب له حسنة.
- تكتب له سيئة.
- لا يكتب له شيء.

٤. **أجب عما يلي:**

ج. اذكر الأحوال الأربعة للعباد في فعل الطاعة والمعصية.

.....

.....

.....

.....

ح. بَيِّنِ الجزاء المترتب على فعل الحسنة أو السيئة.

.....

.....

.....

.....

خ. بين الجزاء المترتب على الهم بالحسنة أو السيئة.

.....

.....

.....

.....

د. اشرح بأسلوبك الخاص الحديث شرحًا إجماليًّا.

.....

.....

.....

.....